



تشعّبت بي سُبُل الكتابة وأدركت أنني أأسأت إلى نفسي حينما فتحت ملفات جديدة قبل أن أغلق القديمة التي شرعت بها، فهممت بكتابية مقالة أخيرة أختتم بها مقالات الحرب وأقدم فيها خلاصةً لما تجمع بين يدي من معلومات وتصورات للحرب المتوقّفة، عازماً على أن لا أعود إلى هذا الموضوع بعد ذلك إلا إذا جدّ فيه ما يستحق الكتابة، فإنني لا أجد في الجهد المبذول فيه فائدة ذات شأن، ولو لا أنني ألمّت نفسي به ووعدت عدداً من القراء بتكميلته لتركته. على أنني ما كدت أبدأ بالمقالة الجديدة (سيناريو الحرب) حتى وردني تعليق على المقالة السابقة من سائل يسألني: وهل أنت متأكد أصلاً أن الحرب كائنة حتى تكتب عنها؟ فقلت لنفسي: إنه مُحقّ، الجواب عن هذا السؤال يسبق التفاصيل.

**السؤال الكبير الذي يسأله كل واحد اليوم هو: هل ستُقْعِدُ الحرب؟ والجواب هو: نعم ولا. بإيجاز وبعبارة مقتضبة أقول: إذا لم تُحل الأزمة المستعصية بطريقة غير الحرب فلا مناص من الحرب، لماذا؟**

لأن التعليق مصير مرفوض تُجمع كل الأطراف على رفضه كما يبدو، الشعبُ والنظام والجيران والمجتمع الدولي، على اختلافِ بينهم في الأسلوب الأمثل لحل الأزمة؛ فالنظام يتوق إلى القضاء على الثورة وإعادة البلد إلى ما كانت عليه يوم الرابع عشر من آذار، والثورة تريد إسقاط النظام ومحاكمته، والباقيون حريصون على أي حل يحسم المشكلة ويحافظ على مصالحهم في سوريا والمنطقة. بعيداً عن الاختلاف بين هذا الفريق وذاك فإن الحسم وعدم التعليق هما محل إجماع، وهذه هي الفرضية الأولى.

**الفرضية الثانية:** الثورة مصرّة على إسقاط النظام وهي لن تستسلم مهما بلغت التضحيات، فقد انطلق قطارها على سكة بلا محطات ولن يقف إلا بلوغ النهاية، محطة الحرية والاستقلال الكامل – إن شاء الله –.

**الفرضية الثالثة:** الأطراف المعنية بالأزمة هي التالية: الثورة، والمجتمع الدولي، والنظام. وقد رتبتها في هذا السياق حسب قوتها وتأثيرها في الأزمة وسيطرتها على الحل، من الأقوى إلى الأضعف. هل يبدو هذا الترتيب غريباً لا، أبداً، فإن النظام الحاكم هو فعلاً الحلقة الأضعف في المعادلة الحالية والشعب التأثر هو الحلقة الأقوى، وبينهما الجماعة الدولية. الشعب هو الأقوى لأنّه الوحيد الذي يملك مفتاح حل الأزمة، أي إنهاء الثورة وإعادة الاستقرار إلى سوريا. نحن نقف الآن على رأس تسعه أشهر من عمر الثورة، تسعه أشهر بذل فيها النظام كل ما يستطيع أن يبذل من جهد ولم ينجح في قمع الثورة، بل هو فشل حتى في محاصرتها وإيقاعها في حجمها في أي وقت، فقد ظلت الثورة تتمدد وتزداد انتشاراً وقوة باستمرار رغم جهود النظام الجبارية.

سيوافقني كثيرون منمن يتبعون أخبار الثورة وتطوراتها متابعة دقيقة كما أفعل، وسوف يخالفني آخرون من الذين يلتهم التشاؤم قلوبهم. لقد نشرت قبل يومين قائمة محدثة تضم موقع الثورة في أنحاء سوريا فبلغت ثلاثة أرباع ألف موقع، وقبل ذلك بثلاثة أشهر نشرت نسخة مبكرة من القائمة ذاتها وكان فيها ثلثاً هذا العدد فقط. هذا من حيث عدد الموقع، أما زخم المظاهرات والحركات الثوري فإنّه في ارتفاع مستمر، وقد استعادت أكثر المناطق التي ضربها النظام من قبل عافيّتها وعادت

إلى سابق عهدها، في حوران والجزيرة وريف دمشق وإدلب وحمص وحماء... هل تعلمون أن حماة اليوم هي حماة الأمس ذات الجموع الهائلة، إلا أن جموعها تفرق في الأحياء كما تفرق جموع حمص في أحياها بعدها ضرب النظام اعتصاماً الساعة الشهير؟ بارك الله فيهما وفي أنحاء سوريا الثائرة جميماً.

اعذروني لأنني استطردت في هذه النقطة فقد غلبتني الحماسة وأقلت من يدي القلم، وأعترف بأنني مسحور بقوة وعنفوان هذه الثورة الإعجازية التي تجاوزت حدود الخيال، ولو لا أني أجهد في حبس نفسي على موضوعي الذي أتحدث فيه لأفضت في الحديث عن ثورة سوريا العجيبة حتى أملأ الصفحات الطوال!

نعم أيها السادة، الثورة هي الطرف الأقوى في المعادلة لأنها الوحيدة التي تملك مفتاح الحل، والنظام هو الطرف الأضعف لأنه فاشل يائس عاجز عن إخمامها وقمعها. إنه يحتل البلاد ويحتاج المدن ويقتل الناس ويقتل وينكل ويرتكب كافة البشاعات والموبقات، ولكنه مع ذلك عاجز عن صنع أي شيء. منذ الأسبوع الثالث من أسبوعي الثورة صارت المظاهرات ممارسة يومية في سوريا، ومنذ ذلك الحين لم يمرّ يوم من شروق شمس إلى غروبها بلا مظاهرات! لو كان النظام قوياً فعلاً لنجح في القضاء على الثورة في تسعه أشهر، أو لنجح على الأقل في تقاييسها ومنعها من الانتشار والانفجار، وهو لم يفعل ولن يفعل - بإذن الله..

\*\*\*

إذا كان التعليق مرفوضاً فإن الجسم محظوم، وإذا كان الجسم محظوماً فإنه آتٍ بأي صورة كانت، وإذا كانت الثورة تقول إنها لن تتوقف قبل إسقاط النظام، وإذا كانت هي الطرف الأقوى فعلاً، فلا بدّ إذن أن يتحقق أيُّ حسم شرطها وأن يتواافق مع مطالبيها، أو ببساطة: لا بدّ من إسقاط النظام لجسم الأزمة وإعادة الاستقرار إلى سوريا.

و هنا نصل إلى النتيجة المهمة التي لخصها عنوان المقالة: إذا أمكن إسقاط النظام بلا حرب فلن تقع حرب، وإذا لم يسقط النظام بلا حرب فلا مناص من الحرب لإسقاط النظام.

هذه الجملة تفسر تقريراً كل ما نراه من تطورات خلال الأسابيع (بل والأشهر) الماضية وتحلّ ما يبدو وكأنه جملة من المتناقضات؛ ففي حين تدل المؤشرات الظاهرة على أن المجتمع الغربي يدفع باتجاه الحرب ويهشّد لها فإن التطورات الدبلوماسية المعلنة والخفية تبدو وكأنها تمدد للنظام الزمني أو تمهّد لحل توفيقي من نوع ما.

الاتجاهان متعارضان في الظاهر، ولكن لا تعارض بينهما في الحقيقة، فإن إنهاء "حكم الأسد" صار هدفاً متفقاً عليه وبقي التنفيذ، وأن الحرب هي أكثر الحلول كلفة فليست غريباً أن يفكّر المجتمع الدولي في البديل وأن يستنفذ كافة الفرص قبل اللجوء إليها. ولكن ما هي تلك البديل؟ هل هي نفسها الأهداف التي أعلنتها الثورة وسعت إليها على الدوام؟

أمام هذا السؤال الكبير نحتاج إلى وقفة كبيرة، بل وقفه كبيرة جداً، وإذا لم نفتح أعيننا جيداً ولم نكن في مستوى دهاء الساسة الكبار فسوف ننتهي مأكولين وسوف تنتهي ثورتنا بلا نصر حقيقي - لا قدر الله..، وعندما سوف تضيع هباءً دماءًآلاف الشهداء وعذاباتٌ مئات الآلاف من المعتقلين والمصابين. إياكم أن يحصل ذلك، حذار أن يحصل ذلك يا أيها الثوار الأحرار.

هذا كله يوصلنا إلى المؤامرة الكبرى التي بدأت تتسرب أخبارها من وراء الكواليس مؤخراً، وبما أنني أعتبرها أخطر مؤامرة تتعرض لها الثورة على الإطلاق فسوف أخصص لها المقالة القادمة، وسأقول لكم مقدماً إنها قد تكون أهم وأخطر مقالة أكتبها عن الثورة إلى هذا اليوم، وإنني لو خُيِّرتُ بينها وبين كل ما كتبته من قبل لوافقت على التضحية بكل ما كتبته في سبيل نشرها على الناس.

موقع: الزلزال السوري

المصادر: